أي نشاط اجتماعي تتردد فيه أصداء ما يحدث في الكيان الاجتماعي كله(١) ثم إن التعلم هو أداة التربية العامة لتحقيق أهدافها ، وهو وسيلة الإنسان لمعرفة سائر التكاليف الإلهية .

والتربية العلمية تعبر عن وجهة الإنسان في كيف ولماذا تسلك الطبيعة بالصورة التي هي عليها ، كما أن لها جانبها الأخلاقي والتربوي المتمثل في القيم التي يتبعها العلماء في بحثهم وفي استخدام الاكتشافات العلمية في أغراض إنسانية سامية(٢) .

ويمكن للتربية العلمية أن تنمي القيم العلمية في الأفراد عن طريق غرس الرغبة الأصلية في المعرفة والفهم والتساؤل عن الأشياء والأحداث وتعليمهم البحث عن المادة العلمية وعن مدلولها ومضمونها وطريق التحقق واحترام المنطق ، وتربيتهم على تدارس المقدمات بعناية وكذا استنباط النتائج ، وتتضمن التربية العلمية صفات عقلية وفردية من حب للاستطلاع وتوقع للتقدم ، وثقة في الذكاء الإنساني والإحساس بنظام العالم الطبيعي والتواضع العقلي واحترام الأدلة والإثباتات(٣) .

والتربية العلمية تعمل على تربية العقل الإنساني على أسس قويمة وتستهدف الصدق في القول والعمل وتجنب المبالغة ، وحب الحقيقة والسعي وراءها والبحث عنها ، والدقة في العمل وإخضاع النتائج إلى المقاييس والتجرد من الهوى والعواطف عند البحث عن الحقيقة ، والتواضع أمام الحقائق العملية وإدراك أن علم الإنسان محدود مهما ارتقى والاستزادة في التحصيل ، والاستزادة من العلم مدى الحياة والعلم بالتعلم ، والتعلم يقصد به : عملية اكتساب الوسائل المساعدة على إشباع الحاجات والدوافع وتحقيق الأهداف(٤) ويقال : الإنسان الربأني الذي يربي الناس بالعلم صغاره قبل كباره والربأني من التربية أي الذي يربي الناس بجزئيات العلم قبل كلياته ، أو بفروعه قبل أصوله ، وبمقدماته قبل مقاصده ، ومن ثم تأتي أهمية الحث على طلب العلم والاستزادة

---

(١) بهجة التعلم : د. سيد أحمد عثمان ص١٠ الأنجلو المصرية ١٩٧٧م .
(٢) فلسفة التربية في الحديث النبوي ص٢٠٨ .
(٣) فلسفة التربية فيليب هـ. فينكس ص٥١٦ .
(٤) (التعلم) د. رمزية الغريب ص ١١ ط٣ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٧ .

منه ، وعلى الإنسان أن ينفق عمره متعلماً أو معلماً وأن يعمل بما يتعلم وأن يطابق سلوكه ما تعلمه وأن يستزيد من العلم دون أن يشبع(١) .

والماوردي في فكره التربوي قد أكد على أهمية العلم والتعلم لما له من دور فعال وبالغ في الحياة والإنسان والمجتمع فهو يهدي لخير الدنيا والآخرة ، وهو أشرف ما رغب فيه الراغب ، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب ، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب لأن شرفه يثمر على صاحبه وفضله يمني عند طالبه ، ومنع الله تعالى المساواة بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم ويرجع ، شرف العلم إلى ما يعود على الفردمن اكتسابه العلم فهو أفضل مقتني ، ويربط الماوردي العلم بالمفهوم الديني والاعتقادي (وما يعقلها إلا العالمون) ورؤيته أن الله نفى العقل عن من لم يفهم منه أمراً أو يعقل عنه زجراً وربط الفهم عنه بالعلم فهو يعطي العلم معنى عقائدياً بفهم واسع شامل ذلك لأنه أعلى مراتب العلم – العلم الإسلامي المستمد من الله تعالى عن طريق وحي الله تعالى إلى رسله وأنبيائه عليهم السلام لتبليغ دعوته جل شأنه لخلقه .

ثم يقرر الماوردي بأنه لا يعرف فضل العلم إلا العالم وفضل العالم لا يعرف إلا به ، وفضل العلم يعرف بالعمل ، وهنا يبرز الماوردي قضية هامة في العملية التربوية أن المجتمع العالم المستقيم الذي يحترم العلم والعلماء ويقدرهم ويعطيهم حقهم من الوفاء بتطبيق أفكارهم فهو مجتمع قويم فالعلم مصدر السعادة لصاحبه وإن قل ماله أما الجهل فإدبار وحرمان وإن كثر المال واتسعت الأحوال، على أن العلم والعقل سعادة وإقبال وإن قل معهما المال وضاقت معهما الحال ، فالسعادة ليست بكثرة المال فكم من مكثر شقي ومقل سعيد ، وكيف يكون الجاهل الغني سعيداً والجهل يضعه أم كيف يكون العالم الفقير شقياً والعلم يرفعه(٢) وهنا نلاحظ عدة ملاحظات في فكر الماوردي التعليمي من أهمها :

أولاً: بيان أهمية العلم في الحياة والحث عليه والترغيب فيه .

ثانياً : أن العلم في حد ذاته مصدر سعادة وغنى وإن لم يتعارض مع الغنى المادي إذ لابد للعلم من وظيفة إلى جانب شهود الحق وإذن لا تعارض بين الغنى المادي والعلم والسعادة .

---

(١) فلسفة التربية في الحديث الشريف ص٢١٠-٢١١ بتصرف .
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٤١،٤٢،٤٣ .

ثالثاً :هناك علاقة بين العلم والوقت أو بين العلم والزمان المعاش فالزمان فخور بالعلماء فيه يمدح به أي بالعلماء والفخر بالعلم فكلما كثر العلماء وانتشر العلم ارتقى الفرد وسعد وبالتالي ارتقى المجتمع وسعد وصلحت أحواله في كافة مناحي الحياة وميادينها .

رابعاً : أن العقل هو سبيل وأداة العلم ، وللتقدم العلمي طريقان لدى الماوردي في فكرة التربوي والتعليمي :

الأول : التلقي عن الوحي (التلقي عن الله تعالى) وهو مشتمل على كافة المعتقدات والواجبات ومسائر التكاليف والآداب الشرعية والتعبدية وهذا لابد من موافقة العقل له تأملاً وتدبراً وفهماً صحيحاً وتحليلاً وتركيباً واستنباطاً وقياساً وتثبتاً وتحققاً واجتهاداً وعملاً .

والثاني : استخدام العقل في النظر والفكر والتدبر والاختبار والتجربة والممارسات التطبيقية وهذه تتصل بشئون الحياة الدنيا وما يحقق الكسب المادي ويشبع حاجات الإنسان الأساسية وهذا يحتاج العقل وأعماله ولكن في إطار الوحي الإلهي أيضاً(١) .

ثم أكد الماوردي مبيناً حد العلم ونهايته فقال : بأن كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والإحاطة بجميعها محال ، وفي الأثر : من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه حقه ووضعه في غير منزلته التي وصفه الله تعالى بها ، ومن ثم فالعلم لا حدود له وكل العلوم مطلوبة وشريفة إلا أنه يؤمن ويلح بإيمانه على أهمية التخصص العلمي إذ لا يستطيع عقل الإنسان الإحاطة بكل العلوم بل يصيبه منها بقدر ما يمكنه الإحاطة به ، وهذه لها أهمية في العملية التربوية وتسهم بنصيب موفور في النمو الفردي والاجتماعي على حد سواء .

ثم قسم العلوم :

فمنها ما يتفق وروح المناهج الإسلامية التي تجعل ما يتعلق بالوحي الإلهي في القمة ، ومبرره أنه إذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل فإنه يجب صرف المجهود إلى معرفة أهم هذه العلوم والعناية بأفضلها وأولاها وهي علوم الدين لأن الناس بمعرفتها يرشدون ويهتدون وبجهلها يضلون ويعمهون .

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٥٣ .

والماوردي يعكس تصوره للمصادر المعرفية وهي أنه يعطي الوحي والإلهام المرتبة الأولى ثم يأتي دور العقل وما يحتويه من حواس وغير ذلك ، ثم إنه يعكس ذلك التكامل الوثيق بين مصادر المعرفة ، فالوحي لا يفهم إلا بالعقل ، والعقل يسترشد ويستنير بالوحي ، والعلوم كلها ضرورية في الحياة وللإنسان وأفضلها العلوم الدينية الإسلامية(١) .

وإذا كان الإنسان في حاجة ملحة للتعلم والتعليم وفي حاجة إلى تغذية فطرته ليزيدها ثراء وكمالاً عن طريق اكتساب نصيبه من المعرفة والتعلم ، فقد اشترط الماوردي للتعلم شروطاً وهي عوامل مؤثرة في التعلم والتعليم من أهمها:

أولاً : صيانة النفس أو طهارتها لأنها أصل الفضائل لكل الناس وللعالم والمتعلم أكثر إلزاماً .

ثانياً : النية والهدف الباعث : فعلى الإنسان في نظر الماوردي أن يوجه جهده لصرفه في التعليم بنية طلب العلم واثقاً بتيسير الله تعالى قاصداً وجه الله تعالى بنية خالصة وعزيمة صادقة والتخلق بالأخلاق الفاضلة وأن يكون غرضه إصلاح الدنيا والدين وأن يزيل عن نفسه الجهل ليتحلى دائماً بالعلم وأن يستزيد ويكثر من العلم وأن يعمل بما يتعلم ، وعليه أن يجتنب المراء أو الجدال في طلب العلم ، وأن لا يطلب العلم لمجرد كسب المال أو الشهرة ولا يطلب العلم لكسب كرامة عند السلطان(٢) .

ثالثاً : شروط عقلية يجب توافرها في طلب العلم من أهمها العقل والفطنة والذكاء .

رابعاً : شروط انفعالية وجسمية تناولها الماوردي في إجمال مبيناً شروط التعليم الجيد :

(١) إن توفر الدافعية الذاتية والميل إلى التعلم ضروري ومهم جداً لإحداث موقف تعليمي ناجح .

(٢) توفر الوقت والفراغ الزمني اللازم لطلب العلم .

---

(١) انظر لمزيد من الاستفادة أدب الدنيا والدين ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) لمزيد من الاستفادة انظر المرجع السابق ص ٥١ – ٥٤ .

(٣) أن وجود الشواغل الحسية أو المعنوية عن متابعة الدرس تحدث كفاً وإحباطاً للمتعلم .

(٤) توافر الصحة النفسية والجسدية وتوافر هذا الشرط إنما يكون بمراعاة ما يكفل للنفس والجسد من رعاية بدنية ونفسية وصحية عامة(١) .

(٥) الظفر بعالم سمح بعلمه متأن في تعليمه .

(٦) طول العمر واتساع المدة التعليمية لينتهي بالاستكثار إلى مراتب الكمال(٢) .

ثم يبين الماوردي شروطاً اخرى تتصل بالتعلم وهي :

أولاً : - التدرج في طلب العلم وتنظيم مادة التعلم :

ولقد فصل الماوردي وأفاض فيها وحلل وفصل وينصح المتعلم بضرورة التدرج في طلب العلم ويحذر من عواقب اتباع هذه القاعدة ، فللعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها ، ومداخل تفضي إلى حقائقها ، وليبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها ، والسبيل إلى ذلك لدى الماوردي قوله : ولا يطلب الأخر قبل الأول ولا الحقيقة قبل المدخل فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة لأن البناء على غير أسس لا يبني ، والثمر من غير غرس لا يجني(٣) .

وأسباب ذلك في فكر الماوردي ما يلي :

أ - تعلق نفس الطالب بنوع من أنواع العلم بعينه فيجعله ذلك يقصد حقائق هذا النوع دون النظر إلى المقدمات والمتطلبات .

ب - حب طالب العلم للاشتهار أي حبه لمعرفة ما اشتهر من مسائل الجدل وما اختلف فيه دون ما اتفق عليه بغيه المناظرة والجدال .

ج - تقصير الإنسان في طلب العلم في الصغر واشتغاله به في الكبر فيستحي أن يبتدأ بما يبتدئ به الصغير ويستنكف أن يساويه ومن ثم يبدأ بأواخر

---

(١) (القرآن وعلم النفس) د. محمد عثمان نجاتي ص ١٥١ دار الشروق ط أولى ١٩٨٢ .

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٧٥ .

(٣) أدب الدنيا والدين ص٥٥ .

العلوم وأطرافها ويهتم بحواشيها ليتقدم على الصغير ويساوي الكبير وهذا الصنف يخادع نفسه .

د - وفور شهوات المتعلم وتقسم أفكاره فقوة الشهوة مع الانشغال بها لاشباعها يعتبر صارفاً لهمته عن طلب العلم ويجعله مشغولاً بشهواته وبالتالي يحاول الانتهاء من تعلمه بالوصول إلى النهايات دون عناء فهم الأوليات ومكابدة تحصيلها .

ه - كثرة الأشغال حتى تستوعب زمان ووقت المتعلم وتستنفذ أيامه وسبب ذلك يكون إما الرياسة أو طلب المال أو الانشغال بأمور المعاش وغالباً ما ينصرف عن طلب العلم (١) .

وبعد تحليله وتفصيله لأسباب الانصراف عن طلب العلم وعوائق التدرج في طلبه ، نصح الماوردي ووصى طالب العلم بما يلي :

١- عدم التواني مع مداومة الطلب .

٢- التركيز والفهم ، وعلى طالب العلم لكي يفهم جيداً :

ا - أن يقرأ قراءة جيدة .

ب - أن يفهم الكلام ويعقله ويدرك معانيه فهذا أدعى إلى توفير الجهد في سبيل الحفظ والاستذكار .

ج - أن يقيد العلم بالكتابة ويذاكره جيداً لأن من أكثر المذاكرة لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم ، وإذا تعذر الفهم فإن هذا يستدعي دراسة سبب ذلك لأنه بمعرفة الأسباب وعللها يصل إلى تلافي ما شذ وصلاح ما فسد (٢)

ثم شرح الماوردي أسباب عدم الفهم والمناعة له على ما يلي :

أولاً : عدم اتضاح المعنى .

ثانياً : خفاء المعنى وغموضه .

ثالثاً : أن تكون العلة في المستمع وذلك راجع لذاته أو طارئ عليه .

رابعاً : استثقال الدروس والحفظ وذلك راجع إلى :

ا - الضجر من معاناة الحفظ ومراعاته .

---

(١) المرجع السابق ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) لمزيد من الاستفادة انظر المرجع السابق ص٥٨ ، ٥٩ .

ب - الحفظ بدون تصور سليم وفهم واضح .
ج - عدم تقييد العلم ثقة بما يستقر في الذهن .

خامساً : وقد يرجع تعذر الفهم والتركيز إلى أسباب تتعلق بفهم معاني الكلام وذلك يرجع إلى :

أ -اعتراض شبهة على المعنى يمنع تصوره وتدفع عن إدراك حقيقته .
ب - وجود أفكار تعارض الخاطر .

سادساً : وقد يرجع عدم الفهم والتركيز لأسباب تتعلق بالخط وينصح الماوردي في هذا المجال بأمرين :

الأول : تقويم الحروف على أشكالها الموضوعة لها .

والثاني: ضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال المميزة لها (١) .

حالات طالب العلم في حال طلبه لدى الماوردي :

ثم شرح الماوردي أحوال النفس في حال طلب العلم وحصرها في ثلاث :

حال عجل واتصال .

حال غلو وإسراف .

حال تقصير وإجحاف .

وفي تناوله لهذه الحالات يوازن بين قوتين من قوى النفس هما :

قوة الطاعة ووظيفتها : المنع من التقصير ، وإفراغ الجهد ، والإسعاد .

قوة الشفقة ووظيفتها : الرد عن السرف والتبذير .

ويرى الماوردي ضرورة التوسط في سائر هذه الأحوال (٢) .

وعن صلة المتعلم بالمعلم يجب أن تكون على مثال طيب انبثاقاً من الجو الإسلامي العام لأن المعلم هو حجر الزاوية في عملية التعليم والمتولي للقيادة

---

(١) لمزيد من الاستفادة يراجع أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٦٤- ٧٤ .
(٢) لمزيد من الاستفادة يراجع أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٧٢- ٧٤ بتصرف .

التعليمية والتربوية ثم يركز على بيان الأسس التي تقوم عليها هذه الصلة المتبادلة بين المعلم والمتعلم والعكس فيما يلي :

أ- الصبر على المعلم وإكرامه .

ب- الاقتداء بالمعلم .

ج- الأدب مع المعلم .

د- إيجابية المتعلم وفعاليته .

ه- أنه ليس لطالب العلم أن يأخذ العلم لحسن الذكر ونيوع الصيت بل لوجه الحقيقة والوصول إليها ، ومادامت وجهة طالب العلم الحق والحقيقة فلا يهمه أن يأخذ العلم من نبيه أو خامل مادام سيصل إلى الحقيقة .

وإذا سهل العلم عليه من وجهة فينبغي إلا يطلب ما بعد وصعب من نفس الوجهة والعلة في ذلك كما قال الماوردي : فإن العدول عن القريب إلى البعيد عناء ، وترك الأسهل بالأصعب بلاء ، والانتقال من المخبور إلى غيره خطر(١).

الشروط التي يتوفر بها علم الطالب :

وعن الشروط التي يتوفر بها علم الطالب وينتهي معها كمال الراغب مع ما يلاحظ به من التوفيق ، ويمد به من المعونة فتسعة شروط وضحها الماوردي فيما يلي :

الأول : العقل الذي يدرك به حقائق الأمور .
الثاني : الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم .
الثالث : الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم ما علمه .
الرابع : الشهوة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع إليها الملل .
الخامس : الاكتفاء بمادة تغنيه عن كلف الطلب .
السادس : الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار .
السابع : عدم القواطع المذهلة من هموم وأشغال وأمراض .

---

(١) لمزيد من الاستفادة يراجع أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٧٤- ٧٩ بتصرف .

الثامن : طول العمر واتساع المدة لينتهي بالاستكثار إلى مراتب الكمال .

التاسع : الظفر بعالم سمح بعلمه متأن في تعليمه .

فإذا استكمل هذه الشروط فهو أسعد طالب وأنجح متعلم ، قال الإسكندر : يحتاج طالب العلم إلى أربع : مدة ، وجدة ، وقريحة ، وشهوة وتمامها في معلم ناصح (١) .

سمات المعلم الجيد في فكر الماوردي :

المتأمل في التراث التربوي الإسلامي سيلمس بجلاء الاهتمام بالمعلم لأنه قائد العملية التعليمية والتربوية ، ولا يمكن أن يكون هناك تعليم جيد وإصلاح لحال التعليم والتربية إلا إذا وجد المعلم الصالح ديناً وخلقاً وعلماً وثقافة وإعداده فنياً وتربوياً وشخصياً ، لذا لابد في المعلم الجيد من شروط تتوافر في شخصيته فالمعلم في المعنى الحقيقي له علم بالضرورة والأساس العلمي ضروري جداً لمن يقوم بمهمة التعليم ، والأساس الأخلاقي في العالم المعلم شرط أساسي لممارسة التعليم وهو مرتبط أصلاً بالإيمان والإخلاص والنية الصالحة ، وللعالم المعلم رسالة هامة عليه أن يؤديها في حياته قدوة واقتداء وتوجيهاً وإرشاداً وتعليماً ، وإن أفضلية العالم المعلم وكرامته نابعة أصلاً من تكريم الله تعالى له ويرتبط هذا بعلمه وعمله وإخلاصه والتزامه بما يقتضيه عقله وترجمته لعمله في سلوك واقعي ، ثم إن فعالية عمل المعلم لا يقف عند مجرد التدريس بل يتعداه إلى كثير من الأعمال والأنشطة المرتبطة برسالته ودوره تجاه المتعلمين والتلاميذ من الأفراد ، وتجاه الجماعة ، وتجاه المجتمع الإنساني العام (٢) .

أن هذه الحقائق متمثلة في فكر الماوردي العام إلى جانب أنه عرض لمجموعة من الآداب العامة التي يجب على العالم المعلم أن يلتزم بها .

---

(١) المرجع السابق ص٧٤ – ٧٥ .

(٢) إعداد المعلم وأثره في تطبيق منهج التربية الإسلامية د. عمر التومي الشيباني ، بحث مقدم لندوة أسس التربية الإسلامية ص١٢ مكة المكرمة من ١١ ، ١٤٠٠/٦/١٦هـ نقلاً عن قراءة تربوية في فكر الماوردي للدكتور علي خليل مصطفى.

من هذه الآداب ما يتعلق بالجانب الأخلاقي (كالتواضع ومجانبة العجب ، وأن يكون مستقلاً للفضيلة منه ليزداد منها ومستكثراً للنقيصة فيه لينتهي عنها ولا يقتنع من العلم بما أدرك لأن القناعة فيه زهد والزهد فيه ترك والترك له جهل ، ومن المبادئ الأخلاقية في المعلم العمل بالعلم لأن العلم حجة على من أخذ عنه واقتبس منه وأنه أيضاً إذا لم يواكب العلم العمل فلا فائدة منه ، ومن المبادئ الأخلاقية في المعلم تجنب قول ما لا يفعل ، وبذل العلم وعدم البخل به ، والتنزه عن شبه المكاسب لأنها إثم وكد المطالب ذل والأجر اجدر به من الإثم والعز أليق به من الذل وأن يقصد بالتعليم وجه الله تعالى ويطلب ثوابه عز وجل من غير أن يتعاطى عليه عوضاً ولا يلتمس عليه رزقاً(١) .

ومن الآداب العامة ما يتعلق بالجانب العلمي والصفات الفكرية والماوردي يرى أن على العالم المعلم إن لا يكتفي بما تعلمه بل يشترط غزارة العلم وأن يستكثر من طلبه ، وينبغي على العالم أن لا يتكلف ما لا يحسنه ، ومن ثم بدت ملامح هذا الجانب في فكر الماوردي على النحو التالي :

١- ضرورة العلم وتعلمه والتوسع فيه بالنسبة للعالم المعلم .

٢- والعالم إذا وصل إلى الإحاطة بعلمه فإن هذا لا يعني استغناؤه عن طلب العلم إذ العلم أكبر إن يحيط به بشر ولذلك يجب أن يواصل طلب العلم .

٣- ولما كانت الإحاطة التامة بالعلم مستحيلة كان من الموجب على المعلم أن لا يتكلف في العلم لأن التكلف منه والقول به أمر يضل والمتكلف بما ليس عنده ضال .

٤- وإذا عضلت مسألة أمامه وتبين أنه لم يعرفها لا يتكلف بل من الجيد أن يقول : لا أعلم ولا أدري .

٥- وعلى هذا فإن العالم لا يستنكف من علم ما لا يعلم لأن هذا إذا حدث فإنه سيورث العالم جهلاً ، أما إذا تعلم واستمر في تعليمه فإن هذا كفيل بزيادة العلم والتمكن من المادة التي يدرسها ويعلمها للناس(٢) .

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٨٠-٩٢ بتصرف .

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٨٠-٨٢ بتصرف ، وقراءة تربوية د/ على خليل مصطفى ص ٤١٨-٤١٩ .

ومن الآداب التي يتحلى بها المعلم الجيد ما يتعلق بالجانب المهني والثقافة المهنية ، فهما عماد العملية التربوية بما يسمح للمعلم مزاولة مهمته التعليمية والتربوية بنجاح ويتصل هذا الجانب بتزويد العلم بالخبرات الفنية والمعارف التربوية مما يساعده على فهم العملية التربوية والتعليمية ، وقد اهتم الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين ما أطلق عليه اسم أخلاق العالم أو آدابه واعتبرها أساسيات في ممارسة التعليم ، ودعامات للإعداد التربوي ومن هذه الآداب :

أولاً : فهم طبيعة المتعلم وأهدافه من التعلم : فعلى المعلم أن يفهم نوعية المتعلمين والبواعث التي دفعت بهم إلى التعلم ففي هذا ما يساعده ويساعدهم على إحداث تعلم ناجح ومرغوب فيه ، وعلى المعلم أن يعطي كل متعلم ما يطلبه وما بعثه على التعلم فإن كان الباعث بما يرضي الله تعالى ويوافق أهداف الدين من تحقيق نفع الدنيا والآخرة أو ما هو مباح فعليه إن يتوفر عليه ويزكيه ويكبره ويأخذ صاحبه بما يوافقه وأن يتحلى بالصبر معه حتى يحدث النتيجة المرغوب فيها ، وواجب على المعلم إيذاء من يطلب العلم للمراء أو الجدال ولا يحقق نفع الدنيا والآخرة أن يصرفه عنه لأنه لن يحقق إلا شرا ، ويضل الناس ويفسد المجتمع(١) .

ثانياً : الفراسة أو الموهبة التربوية والتعليمية لتعطي المعلم قوة على أداء مهمته وإذا كانت الموهبة التربوية في عناصرها ترجع إلى الحب أي محبة المتعلمين والشعور بالقيم الأخلاقية والاجتماعية وأهمية الرسالة التعليمية ولذا نجد الماوردي عني بأهمية الفراسة للمعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه ليعطيه ما يتحمله بذكائه أو يضعف عنه ببلادته فإنه أروح للعالم وأنجح للمتعلم(٢) ، وكل علم كثر على المستمع ولم يطاوعه الفهم ازداد القلب به عمى وإنما ينفع سمع الآذان إذا قوي فهم القلوب في الأبدان(٣) .

ثالثاً : مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ليتعرف على نواحي القوة والضعف فيوجه المعلم نظريات التعليمية لمريديه وفق قدراتهم واستعداداتهم(٤) .

---

(١) قراءة تربوية ص ٤٢٤ .
(٢) أدب الدنيا والدين ص ٩٠.
(٣) المرجع السابق ص ٩٠ .
(٤) المعلم في الفكر التربوي عند الإمام النووي (د. حسن إبراهيم عبد العال ص٢١٨ مجلة البحوث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثاني ١٩٨٣م نقلاً عن قراءة تربوية في فكر الماوردي.

وقد اهتم الماوردي بهذا المبدأ ففي المتعلمين الذكي المحتاج لزيادة العلم وفيهم البليد الذي يكتفي بالقليل منه وإذا لم يراع المعلم هذه الفروق الفردية بين المتعلمين كان هو وهم في تعب(١) .

رابعاً : النصح والإرشاد والتوجيه : فلا يقتصر أمر التعليم على مجرد تعلم المادة أو المواد المدروسة وحشوا الأذهان بها بل إن الأمر يقتضي نصح المتعلمين وإرشادهم إلى أحسن الطرق للتعلم ووسائله الجيدة حتى يتيسر له طلب العلم .

وفي هذا الشأن يقول الماوردي : ومن آدابهم نصح من علموه والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم فإن ذلك أعظم لأجرهم وأسنى لذكرهم وأنشر لعلومهم وأرسخ لمعلومهم(٢) .

خامساً : ضرورة الرفق بالمتعلمين لأن التربية لا تقوم بدون حبور فالحبور روح التربية وفي هذا يقول الماوردي : ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعلما ولا يحقروا ناشئا ولا يستصغروا مبتدءا فإن ذلك أدعى إليهم وأعطف عليهم وأحث على الرغبة فيما لديهم وفي الأثر قيل : علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف ، وقيل أيضاً : وقروا من تتعلمون منه ، ووقروا من تعلمونه(٣) .

سادساً : إثارة دافعية المتعلمين وتحبيبهم في العلم إذ هي من الشروط الأساسية في عملية التعليم ويتوقف عليها تحقيق الهدف من عملية التعليم في أي مجال من المجالات المتعددة سواء في تعليم أساليب وطرق التفكير أو تكوين الاتجاهات والقيم أو تعديلها أو تحصيل المعلومات والمعارف(٤) .

وفي هذا الصدد يقول الإمام الماوردي : ومن آدابهم ألا يمنعوا طالباً ولا ينفروا راغباً ولا ييئسوا متعلما لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم والزهد فيما لديهم واستمرار ذلك مفضي إلى انقراض العلم بانقراضهم(٥) .

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٨٨-٩٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٩٣ .
(٣) المرجع السابق ونفس الصفحة .
(٤) التعليم وتطبيقاته (د. سيد أحمد عثمان وغيره ص١٤١ط ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٨م .
(٥) أدب الدنيا والدين للماوردي ص٩٣ .

وجملة القول : إن تكامل هذه الجوانب المتعددة (الجانب الأخلاقي والعلمي والمهني يعتبر سمات أساسية وجوهرية لاكتمال صفات المربي والمعلم الناجح إذا أنه لا يستقيم أمر الحياة أو العملية التربوية إلا بها .

العلاقة بين المعلم والسلطان في فكر الماوردي :-

هذه القضية كانت مثار جدل على صعيد الفكر العام والتربوي الحديث والمعاصر وشغلت بال المفكرين واختلفت الناس في شأنها ، فاتصال العلم بالسياسة ضرورة ولكن إلى أي حد ؟ وهذه القضية غاية في الأهمية ، فهل يقوم المعلم بأداء ما تمليه السلطة سواء بالحق أو بالباطل أم ماذا يفعل ؟ إن هذه القضية بالرغم من خطورتها وأهميتها فهي حساسة في جانب المعلم . هل يتبع أوامر السلطة أو يناقضها ؟ وما حد المتابعة ؟

مجموعة من التساؤلات شغلت فكر الرواد في التراث الإسلامي ومنهم الإمام الماوردي ويمكننا إجمال موقفه من هذه القضية فيما يلي :

أولاً : على السلطان أن يعرف فضل العلم ويستبطن أهله لأنهم للدين أركان وللشرع أعوان ، والدين أساس الملك ونظامه ، وقد قاموا فيه بحقه ونابوا عن الملك في حفظه ، ولولاهم لما عرف حق أمر من باطله ، ولا صحة حكم من فاسده ، فليحفظ الملك نظام ملكه بمراعاتهم ، وليستظهر لدينه وملكه باستبطانهم ليكون بالعلم موسوماً وإليه منسوباً(١) .

ولا يقتصر الأمر على الشريعة وعلمائها فقط أو الدين فحسب بل تمتد إلى الدنيا أيضاً وفي هذا الصدد يقول الماوردي : وليصر بمكاثرتهم مستظهراً وبمذكراتهم مستبصراً وهم أنفع له في دينه ودنياه لأنهم في الدين دعاة وفي الدنيا هداه مع ما ينشر من الفساد بإهمال العلماء وترك مراعاتهم وذلك أنهم ربما بعث بعضهم قلة المادة وضعف الحال على مسامحة النفس والتبذل وارتكاب الشبهة . فإذا وافق ذلك إعراض السلطان عنهم فتحت أثارهم عند العامة ، وتقاصرت رتبهم عند الخاصة فهجروا هجر الأعداء وزجروا زجر السفهاء ، ثم سرى ذلك في خواصهم ومتصوفيهم ، وعم في خيارهم ومتدينيهم ، لأن نقص الجنس

(١) (تسهيل النظر وتعجيل الظفر) للماوردي ص ٢٧٤ .

يسري فيه فذهبت بهجة العلم وبهاؤه وقل طلابه وعلماؤه وصار ذريعة إلى انقراضه ودرسه(١) .

ثانياً : بالعلم والعلماء يمكن للسلطان أن يدفع مكر أهل الأهواء والنحل المبتدعة ، ويقول الماوردي : ثم لا يبعد أن يظهر أهل نحل مبتدعة ، ومذاهب مخترعة يزوقون كلاما مموهاً ، ويزخرفون مذهباً مشوهاً لأن ما صح من المذاهب قد اعتقد وما سلم منها قد استقر(٢) .

ثالثاً : وإذا بدا للسلطان رغبة في العلم لفضيلة نفسه ، وكرم طبعه ، إذا بدا ذلك واستدعى العالم من أجل ذلك فعلى العالم المعلم كما يقول الماوردي أن لا يجعل ذلك ذريعة في الانبساط عنده ، والأدلال عليه ، بل يعطيه ما يستحقه بسلطانه ، وعلويده ، فإن للسلطان حق الطاعة والإعظام ، وللعلم حق القبول والإكرام ، ولا ينبغي للعالم المعلم أن يبدي السلطان بالعلم إلا بعد الاستدعاء ولا يزيده على قدر الاكتفاء فربما أحب بعض العلماء إظهار علمه للسلطان فأكثره فصار ذلك ذريعة إلى مللة ، ومفضياً إلى بعده ، فإن السلطان منقسم الأفكار ، مستوعب الزمان ، فليس له في العلم فراغ المنقطعين إليه ، ولا صبر المتفردين به(٣) .

وفي حالة تعليمه عليه أن يخرج تعليمه مخرج الذاكرة لا مخرج التعليم والإفادة لأن لتأخير التعليم خجلة تقصير ، يجل السلطان عنها ، فإن ظهر منه خطأ أو زلل في قول أو عمل لم يجاهره بالرد ، وعرض باستدراك لله وإصلاح خلله(٤) .

رابعاً : إن من واجب المعلم كما يقول الماوردي : أن لا يجابه السلطة ولا يواجهها بل لابد من أن يتعامل معها بأسلوب العلم ، فإذا ما مس الحاكم أمراً من أمور الدين أو الصالح العام فإن واجب العلم يلقي على عاتق المعلم العالم مسئولية عدم الإتباع بل يلزمه بالنصح والإرشاد والإحالة على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) المرجع السالف ص ٢٧٥ .
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .
(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٩١ بتصرف يسير .
(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٩١ بتصرف يسير .

كما أنه ليس للمعلم العالم أن يتابع السلطان فيما يجانب ويضاد الحق ، وموافقة لرأيه ومتابعة لهواه فربما زلت أقدام العلماء في ذلك رغبة أو رهبة فضلوا وأضلوا مع سوء العاقبة وقبح الآثار .

وعلى العالم والواجب عليه الأدب مع السلطان وغيره إلا أنه لا ينبغي أن تزل قدم العالم المعلم مع السلطان فيما يخالف الدين الإلهي والحق ويتبعه موافقة لرأيه لأنه رأي السلطان ، ويوصي الماوردي العالم بألا يتابع السلطان فيما يتبع هواه وشهوته ، ويتجنب الحق من أجل رأي السلطان لأن العالم في هذه الحالة يمكن أن يضل ويضلل الناس المتبعين له والواثقين فيه وهذا يؤدي لا محالة إلى سوء العاقبة ووقوع الخلل في المجتمع .

روي : لا تزال هذه الأمة بخير تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمال قراؤها أفرادها ، ولم يزك صلحاؤها فجارها ، ولم يمار أخيارها أشرارها فإذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ، وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعباً(١) .

---

(١) المرجع السابق ونفس الصفحة . وقراءة تربوية د. على خليل مصطفى من ٤٣١-٣٣٤ بتصرف .

المطلب الثالث

العوامل المؤثرة في التربية لدى الماوردي

من المعلوم أن التربية لا تتم في فراغ ، بل في جو معين ويؤثر فيها مكونات هذا الجو المحيط ، وفي نفس الوقت تتأثر التربية عامة بالعوامل الإنسانية سواء فيما يتصل بطبيعة الإنسان المتعلم نفسه أو بالجو الاجتماعي المحيط به .

والمتأمل في النتاج الفكري العام لدى الماوردي يمكنه استنباط واستخلاص العوامل الأساسية والمؤثرات المختلفة التي تتدخل وتؤثر في تشكيل شخصية الإنسان وتربيته ، وهي عوامل أساسية مؤثرة يمكننا إجلاؤها فيما يلي :

أولاً : المؤثرات البيولوجية الفطرية :

ويعني بها : العوامل الفطرية في الإنسان ، كما تتمثل في التغيرات البيولوجية والفسيولوجية التي تحدث في بنية الكائن العضوي ، وأيضاً المتغيرات التي تلحق بهذا الكائن من ناحية العقل الفطري ، والطبيعة الاجتماعية له(١) .

والماوردي على عناية بالغة بهذه المؤثرات البيولوجية الفطرية وتمثلت لديه في بيان الخلقة والهيئة التي ركب الإنسان عليها لقبول التكليف ، وهذا ما نراه عنده عندما تحدث عن الحاجات الأساسية للإنسان ، وهذه الحاجات الأساسية فطرية وتؤثر تأثيراً بالغاً في تربية الإنسان وسلوكه ، ولتأثير هذه العوامل البيولوجية والفطرية الوراثية نلاحظ أن الماوردي يهتم بالزواج باعتباره أساس هذه الناحية ولذا يشترط فيه شروط معينة وإن كانت تغلب عليها صفات التكليف الشرعي مراعاة لهذه المؤثرات الفطرية فيقول في هذا الشأن :

لزم في عقد التعفف (الزواج والنكاح) تحكيم الاختيار فيه ، والتماس الأدوم من دواعيه وهي نوعان : نوع يمكن حصر شروطه ، ونوع لا يمكن لاختلاف الأسباب وتغاير شروطه ، فأما الشروط المحصورة فيه فثلاثة :

أحدها : الدين المفضي إلى الستر والعفاف المؤدي إلى القناعة والكفاف .
وفي الآثر : لا يفرك مؤمن مؤمنه إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً(٢) .

---

(١) (قراءة تربوية .....) د. على خليل مصطفى ص٣٤٢ .
(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة وقراءة تربوية د. على خليل مصطفى من ٣٣١ – ٣٣٤ بتصرف .

والثاني العقل الباعث على حسن التقدير والأمر بصواب التدبير .

فقد روي : العقل حيث كان ألوف ومألوف(١) .

وأيضاً عليكم بالودود الولود ولا تنكحوا الحمقاء فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع(٢) . وهذا سببه أنها تورثه حمقها فيتسبب هذا في هلاك وضياع الولد .

والثالث : الأكفاء الذين ينتفي بهم العار ويحصل منهم الاستكثار .

فقد روي : تخيروا لنطفكم ولا تضعوها إلا في الأكفاء .

ومن وصايا أكثم بن صيفي ولده : يا بني لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنية : قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا ، قالوا : كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ قال : اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها .

وأنشد الرياشي قوله :

فـاول إحـساني إلـيكم تخـيري ... لماجـدة الأعـراق بـاد عفافهـا

فأهمية هذه الصفات وتأثيرها في التربية لا تخفي فهو يؤكد على حسن اختيار الزوجة حتى تكون في الولد إيجابياً .

وفي الأثر : اغتربوا لا تضووا أي يوصي بنكاح البعداء الأجانب ويرى أن ذلك أنجب للولد وأبهى للخلقة .

ولذلك نجد الماوردي يقول : وقد ينضم لهذه الشروط من صفات الذات وأحوال النفس ما يلزم التحرز منه لبعد الخير عنه وقلة الرشد فيه ، فإن كوامن الأخلاق بادية في الصور والأشكال .

وفي الأثر : تزوج تستعفف مع عفتك ، ولا تتزوج من النساء خمسة ، قال وما هن يا رسول الله ؟ قال : لا تتزوجن الشهيرة (الزرقاء البذية) ولا الهبرة

---

(١) (قراءة تربوية) د. على خليل مصطفى ص٣٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص٣٤٣ .

(الطويلة المهزولة) ولا النهبرة (العجوزة المديرة) ولا الهيذرة (القصيرة الدميمة) ولا لفوفاً (ذات الولد من غيرك)(١) .

ومن ثم يؤكد الماوردي على الصفات البيولوجية باعتبارها ذات وزن في التربية وبناء الشخصية الإنسانية وهو في ذلك يدعم قوله ويصبغه بالصبغة الإسلامية ، وإذا كانت هذه عوامل داخلية لها تأثيرها الفعال في بناء الإنسان وتكوينه فهناك مؤثرات أخرى لها تأثيرها البالغ في التربية وهي :

ثانياً : العوامل والمؤثرات البيئية الاجتماعية وقد فصلنا القول سلفاً فيما يتعلق بدعائم التربية الاجتماعية وأصولها وأسس العلاقات الاجتماعية في فكر الماوردي .

يرجع إليها لمزيد من الاستفادة في هذا الشأن ونجمل هنا فنقول أن من أهم العوامل والمؤثرات الاجتماعية في بناء الإنسان وتكوين شخصيته القويمة لدى الماوردي تتمثل في :

أولاً : العادات والمواضعات : وهي تشكل البيئة الفكرية الأساسية التي ينشأ فيها الإنسان ، والماوردي اهتم بها بل يجعل التربية تقوم على أساسها وهي من المؤثرات الهامة في التربية شريطة أن تكون مستحسنة وهي تؤخذ تقليداً(٢) . وتأتي تقليداً أثناء نشأة الطفل مع والديه وإخوانه وأقاربه وجيرانه فصلاحها يكون بصلاح المنشأ وفسادها يأتي من سوء المنشأ(٣) . ولا يرجع الأمر إلى مجرد التقليد لدى الماوردي بل أيضاً إلى الاكتساب وتمثل العادات ، ولذا نرى الماوردي قد قرر وأكد على ضرورة القدوة في التعليم ، وأهمية أن يكون كل إنسان سائساً لنفسه متحلياً بالأخلاق الإسلامية والقيم النبيلة ، فأكثر الرعايا إتباعاً لأولياء أمورهم في الخير والشر والجد والهزل والجهل والعلم .

والتربية تهدف لتوجيه الإنسان والإشراف على سلوكه وتلقينه لغة الجماعة التي ينتمي إليها ، وتعود الإنسان على التقاليد والعادات والأعراف وسنن الحياة المتبعة وتطبعه بها بما يناسبه ويناسب مجتمعه ، وتراثه الذي ينتمي إليه ، ومن

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٥٧-١٦٨ بتصرف .
(٢) تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي ص٣٦ ، ٣٨ .
(٣) المرجع السابق .

ثم فالعادات والمواضعات الاجتماعية عامل مهم من أهم العوامل المؤثرة في العملية التربوية .

ثانياً : العلاقات الاجتماعية وهي تتأثر بالعادات ، وتعد أيضاً عاملاً مهماً في المؤثرات التربوية للإنسان وتكوين وبناء شخصيته الصالحة ، وهي عوامل تجعل من تربية الفرد والبني الاجتماعية نموذجاً تابعاً من شكل العادات والتقاليد والعلاقات التي تبنى تربية الإنسان عليها ، وهذه العلاقات تبنى على مستويين :

الأول : علاقات البيئة الاجتماعية العامة أي كل ما عدا المنزل والأسرة ومن هذا المستوى كافة الأنظمة المتباينة في بناء المجتمع الإنساني (كالنظام السياسي ، والإداري والاجتماعي والاقتصادي ، والقضائي والأخلاقي والجمالي والتربوي وغيرها) وهذه الأنظمة مؤثر هام في تربية الفرد وإعداده وهي عبارة عن علاقات منظمة بين الأفراد وهي تمتزج بدم الفرد ولحمه حتى تصبح جزءاً من طبيعته وتؤثر في كل ما يحيط به حتى ليكاد يستنشقها مع الهواء الذي يستنشقه ، ويحس سيطرتها عليه(١) .

وقد أكد الماوردي على أهمية هذه العلاقات البيئية الاجتماعية وأنها عامل مؤثر من المؤثرات الهامة في العملية التربوية(٢) .

والثاني : البيئة الاجتماعية الخاصة أي ما يتعلق بالأسرة والمنزل وأدوار كل أفرادها في الحياة الاجتماعية ، فالمنزل والأسرة والأب والأم وغيرهم مؤثر ولا شك في تربية الإنسان على ما تواضع عليه مجتمعة وارتضاء عرفه من نظم وآداب وتقاليد وسلوك وأعمال ومعتقدات .

ومن ناحية أخرى فالعلاقات بين أفراد الأسرة ذات تأثير واضح في التربية، والماوردي تناول هذه العلاقات بتفصيل في كتابه (أدب الدنيا والدين) فالآباء تربطهم علاقات بالأبناء وكذلك الأبناء ، كما تناول هذه العلاقات فالمجتمع

---

(١) انظر لمزيد من الاستفادة (الوراثة والبيئة) د. على عبد الواحد وافي ص٩٣ ط٣ مكتبات عكاظ ١٩٨٣م ، وقراءة تربوية د. على خليل مصطفى ص ٣٤٥-٣٤٧ .

(٢) انظر لمزيد من الاستفادة الأصول التي يتم بها انتظام الحياة في المجتمع وما يتعلق بالتربية الاجتماعية في فكر الماوردي من هذه الدراسة .

له قواعد يقوم عليها هي من أسس التكليف كما تناول كافة الأنظمة الاجتماعية وأسس العلاقات الاجتماعية كالعدل والأمن المطلق والخصب والأمل وغيرها مما يعتبر قواعد أساسية لإقامة المجتمع وتوفير البيئة الاجتماعية السليمة لإقامة تربية إسلامية قويمة(١) .

ثم تحدث عن الحوار الاجتماعي العام وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تصلح أمر الإنسان والمجتمع فالألفة هي الجو العام الذي يجب أن يسود بين الأفراد والجماعات ويحلل أسبابها ويركز ضمن ما يركز على أهمية النسب والمصاهرة والعلاقات الأسرية وما ينبغي أن تقوم عليه ، ثم بين أهمية المودة والبر في علاقات المجتمع الإسلامي وقد فصلناها سلفاً والتي تعتبر أصولاً يمكن عن طريقها إيجاد مجتمع قوي متماسك صالح كحاضن للتربية وهو يصدر في كل ذلك عن روح وسطية عربية إسلامية(٢) .

كما تأتي أهمية التربية المنزلية والأسرية والعلاقة بين الآباء والأبناء والأمهات والأقارب والأصدقاء في فكر الماوردي التي تعتبر مؤثراً تربوياً هاماً لما لها من تأثير بالغ في المتعلمين الصغار والكبار على السواء(٣) .

ثم إن المجتمع الإسلامي كله يجب أن يقوم على الإخاء والمؤاخاة إذ هي تكسب إخلاصاً ومصافاة ووفاء ومحاباة وهي مهمة وضرورية للمجتمع ويجب أن تكون عامة بين أفراده ومن هذه المؤاخاة الأصدقاء والصداقة وحسن اختيارهم ولا يخفي أثر هذه كلها في العملية التربوية لدى الماوردي وفي فكره الأخلاقي والتربوي بصفة خاصة .

وجملة الأمر : إن اهتمام الماوردي بالعوامل المؤثرة في العملية التربوية يجلي عنايته كسائر المعنيين بأهمية هذه العوامل المؤثرة في بناء الأفراد والمجتمعات وبناء شخصيتهم وصلاحهم ففي صلاحهم واستقامتهم صلاح للمجتمع بأسره ، ثم يؤكد الماوردي كسائر المسلمين عامة على إيجاد بنية تربية واجتماعية صالحة وسليمة لقيام تربية إسلامية ، وممن تناولهم بالقصد باعتبارهم

---

(١) لمزيد من الاستفادة انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٣٧-١٤٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤٨ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥٠-١٥٤ .

عنصراً مؤثراً في الميدان التربوي المعلمون(١) . وقد اشترط فيهم شروطاً وذكر لهم آداباً عامة لما لهم من تأثير بالغ وعميق في البناء الفردي والاجتماعي وتقويمهم وفق تربية إلهية راشدة لعلاج وسعادة لصلاح الأفراد والمجتمعات بل والإنسانية جمعاء في الدنيا والآخرة .

ولعلنا بعد هذا الاستقراء العام لهذه المفاهيم التي تناولها الأمام الماوردي في فكره العام ولا سيما فكره التربوية خاصة نكون قد أجلينا أهم العوامل الأساسية والمؤثرات الدافعة في العملية التربوية والتي تؤثر تأثيراً بالغاً في الأفراد والمجتمعات سواء من ناحية الفطرة أو الوراثة ، وأيضاً من العوامل المكتسبة التي يكتسبها الأفراد من معايشتهم لواقع البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها .

(١) المرجع السابق ص ٨٣-٨٦ ، ١٦٣ – ١٧٠ لمزيد من الاستفادة .

المطلب الرابع

(أهداف التربية الإسلامية في فكر الماوردي)

إن الغاية التي تهدف إليها التربية الإسلامية تتجلى في تربية الإنسان بكيانه متكاملاً وبطاقاته وقدراته كلها ودراسة ما في طبيعته من الخير والشر والميول والرغبات والاهتمام بالتوازن بين ماديته وروحانيته ، فطغيان ناحية على حساب الأخرى يعقبه أنواع من الشذوذ والانحراف عن الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها .

ومن ثم عنيت التربية الإسلامية بأهمية الميادين وأوجه النشاط الإنساني في الحياة والكون ، واهتمت بالتربية الروحية والعقلية والبدنية والصحية والنفسية والاجتماعية والخلقية والعلمية والعملية وهي عندما تتعهد هذه الميادين في العملية التربوية فإنها تستهدف في نفس الوقت تكاملاً في حركة نموها ، وتناسقها بحيث يصبح الإنسان الذي تعهده بالرعاية مكتملاً في شخصيته ذات نظرة شمولية للأمور في الحياة وما بعد الحياة ، في الطبيعة وما بعدها(١) .

وتتبلور أهداف التربية الإسلامية بالنسبة للإنسان في إعداده فكرياً وتثقيفه عقلياً ، وتنمية قواه واستعداداته الطبيعية المكونة لشخصيته ، ثم الاهتمام بقوة النشء وحسن تربيتهم ، والعمل على توازن جميع القوى والمواهب الإنسانية في شتى جوانبها المادية والمعنوية على السواء دون طغيان لأحدهما على الأخرى .

ثم إن تحديد الأهداف التربوية ليس عملاً بسيطاً بل يعتبر عملية معقدة تتطلب مهارات متنوعة وذلك لأنها تتضمن التفكير الجمعي والفردي والتعبير عن هذا التفكير ، مع ربط الفكر والتفكير بالتطبيق العملي(٢) .

والهدف التربوي يعني : اتجاهات يبحث عنها المربون لتوجيه هؤلاء الذين يقعون تحت رعايتهم ، وهو يعني : المتغير المطلوب الذي تسعى العملية التربوية أو الجهد التربوي إلى تحقيقه سواء في سلوك الفرد أو في حياته الشخصية أو في حياة المجتمع وفي البيئة التي يعيش فيها الفرد أو في العملية التربوية نفسها وفي عمل التعليم كشرط أساسي وكمهنة من المهن الأساسية في

---

(١) مفاهيم تربوية في الإسلام ، د. محمود السيد سلطان ص٨٨ .
(٢) المناهج الدراسية ، د. فكري حسن ريان ص ٢٧ عالم الكتب ١٩٧٢م .

المجتمع (١) فالبغية التربوية موضوعها التغير المراد إحداثه في السلوك ، ووظيفة الأهداف التربوية بوجه عام تحسين مستوى الفرد والحياة الاجتماعية بما يحتوي من أنظمة وعلاقات ومن هنا يكون الاهتمام بها أمراً ضرورياً تفرضه ظروف الحياة في المجتمع .

والأهداف التربوية تتنوع حسب الأبعاد المختلفة التي يتكون منها الإنسان والمجتمع ، وتتحد هذه الأبعاد الإنسانية حسب نظرة الإسلام لها .

فالإسلام ينظر إلى البعد العقلي وكيفية تنميته بالفكر والعقيدة .

وإلى البعد الروحي وكيفية تنميته بالإيمان والعبادة والدعاء والإخلاص .

وإلى البعد النفسي وكيفية تحرير النفس من شهواتها حتى تستقيم وتصفو بإيمانها الإلهي وباطمئنانها الرباني وتنمية النفس بهذه فيه تمهيد لبناء الخلق في طبيعة الإنسان وإرسائها على أساس من الإيثار وحب الناس والإخلاص لهم والتعاون معهم .

وإلى تنمية البعد الجسمي وذلك من خلال العمل والعبادة والحركة والنشاط والسعي الدائم في عمارة الأرض ونشر الخير بين ربوع الدنيا كلها .

وبتنمية هذه الأبعاد المتنوعة ينمو البعد الاجتماعي في الإنسان فيتكامل بنموه المجتمع الإنساني إذا ما عمه هذا النمو في الأبعاد الإنسانية المختلفة (٢) .

فالتربية الإسلامية تتسم بالشمول والتكامل في نظرتها للإنسان وهي نظرة شاملة ومتكاملة وواسعة وعميقة في شمولها تشمل هذه الجوانب جميعاً دون انفصال بينهما ولا تجزئة حتى تتم حركة النمو الفردي والاجتماعي لبناء شخصية قويمة وصالحة وبصلاح الفرد صلاح للمجتمع الإنساني بأسره ، وبذلك يتعين ويتحدد الهدف الأسمى للتربية في الإسلام عموما هو بناء الإنسان عقائدياً وفكرياً ومعرفياً وشخصياً من كافة المناحي الجسدية والعقلية والروحية والخلقية والصحية وغيرها .

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية ، د. عمرو الشيباني ص٢٨٢ الشركة العامة للنشر طرابلس ١٩٧٦م .

(٢) الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام د. محمود السيد سلطان ص٨٨ – ٨٩ دار المعارف ١٩٨٣م .

والمتأمل في التراث الإسلامي ولاسيما التربوي سيلمس أهدافاً متنوعة وأغراضاً للتعليم والتربية تتمحور كلها في الهدف الأسمى وهو بناء الإنسان وتقويم سلوكه وفق كلمة الوحي الإلهي ، وقد تتطور هذه الأهداف بتطور الزمان والمكان وتنوع الدراسات واتساع المناهج ، وتتعدد المذاهب والفلسفات إلا أنها في عصر الماوردي وأحواله وفق ما سجلناه سلفاً نجد الأهداف التربوية في عصره تركزت وتبلورت فيما يلي :

أولاً : الهدف الديني وهو هدف عام ظلت وستظل التربية الإسلامية تؤكد عليه في كافة عصورها إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها ، فالحكومة العربية كانت دينية في كل مظاهرها ، والقرآن الكريم والسنة النبوية هما دعامة التشريع الإسلامي ونشأت العلوم الإنسانية جميعها على اختلافها وتنوعها لخدمته وفهمه لواقعية الكون والحياة والإنسان فكان التفقه في الدين الإلهي وعلومه أسمى أهداف التربية الإسلامية ، كما كان التحلي بالقيم الأخلاقية والتربوية كذلك .

ثانياً : الهدف الاجتماعي وهو هدف رئيسي من أهداف التربية الإسلامية وسعت لتحقيقه مبينة أسسه ودعائمه ، فالعلم والتربية تكسب الأفراد مركزاً اجتماعياً مرموقاً بانتمائهم وأسوتهم بطائفة العلماء .

ثالثاً : ضرورة العلم لذاته بهدف توحيد الأمة حول الإسلام عن طريق إصلاح الفرد والمجتمع ، وإصلاح الخليفة والوزراء ودعوة هؤلاء الخاصة بل والعلماء من كافة طوائف الأمة إلى الالتزام بالفضائل والتحلي بها واجتناب الرذائل وذلك لتحقيق الحياة الفاضلة ونفع الدنيا والآخرة لهم وللمجتمع .

رابعاً : الهدف الحزبي والنفعي وهو معبر عن نشوء مدارس ومذاهب كثيرة كان الغرض منها تأييد مذهب معين وقد بدا هذا جلياً في عصر الماوردي في القرنين الرابع والخامس الهجريين حيث برز الاهتمام بالتربية الحزبية هذا إلى جانب الاهتمام بالغرض الديني والنفعي ، وقد أثرت الأحزاب في ظهور أهداف جديدة للتربية الإسلامية في عصر الماوردي وأحواله ، فمع بروز الأحزاب وظهورها كان لابد من دراسة الجديد للرد على أهل البدع والأهواء ، ووجدت مدارس الفقهاء على اختلاف مذاهبها ومدارس المحدثين وكلاهما ركز على الجوانب والأهداف الدينية وما يخدمها بل وتشددوا في هذا تشدداً واضحاً وبرزت مدرسة الصوفية المعتدلة التي ركزت على أهدافها على إصلاح الإنسان نفسياً وعقلياً وروحياً وقطع الشواغل عنه وركزت أكثر ما ركزت على تربية

الوجدان ، كما ظهرت مدرسة الفلاسفة التي تحددت أهدافها في تربية العقل والإنسان من أجل حياة عقلية مثالية ، وإلى جانب هؤلاء ظهرت مدرسة الأصوليين وعلماء الكلام الذين ركزوا في أهدافهم على دور العقل والنقل معاً ، وركزوا تربيتهم على تدريب الإنسان على المناظرة والعناية بالعقل ووسط هذه الاتجاهات الفكرية المتباينة في عصر الماوردي برزت شخصيته واتضحت معالم فكره ووقف وسط هذه الاتجاهات موقفاً وسطاً مصطبغاً بالصبغة الإسلامية ، وحاول أن يحيي الاجتهاد ويعيد التوازن للفكر الإسلامي ، فدعا إلى الاجتهاد وإعمال العقل والتفكير فيما يلقى للإنسان من أفكار ومعلومات ومن ثم كانت له أهدافه التربوية فرسم معالمها وملامحها في نتاجه الفكري العام وسط تلك الاضطرابات التي ماج بها عصره في جوانب السياسة والاجتماع والمذاهب(١) .

وتتجلي أهداف التربية وأهميتها لدى الماوردي إذا علمنا إن مشروعه كله فيما يتصل بالتربية أو بغيرها كان يهدف إلى توحيد الأمة حول الإسلام عن طريق إصلاح المجتمع المضطرب وإصلاح الخليفة والوزراء وخاصة الشعب وعامتهم إلى الالتزام بالفضيلة ومنطق العقل المؤيد بكلمة الوحي الإلهي ، وتأتي أهمية أهدافه إلى أنه ممثل جيد للفكر الإسلامي الصحيح ومن أبرز رواده في توازنه وعطائه فلم يكتف الماوردي بما درسه في علوم المسلمين بل أطلع وانفتح على ثقافات الشعوب المختلفة ، فكانت أهدافه التربوية متفتحة ولكنها مصبوغة بالصبغة الإسلامية ، وباستقراء فكر الماوردي التربوي يمكننا إجلاء الأهداف التربوية لديه فيما يلي :

أولاً : إعداد الإنسان وتنميته لقبول التكاليف الإلهية ، ومن ثم لزم العناية به عقلياً وجسدياً وصحياً ، وإعداده إعداداً قوياً ليصل إلى درجة الإلهية التكليفية واعتبار هذا الهدف في المرتبة الأولى لأنه يقرر أن الله سبحانه وتعالى إنما كلف الخلق لنفعهم وأقدرهم أي خلقهم قادرين على فعل ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدهم ليكونوا أقدر على النهوض بفعل أوامر التكليف الإلهي ومجانبة نواهيه ، ولا يصل الإنسان إلى هذه الأهلية إلا بواسطة التعليم والتربية(٢) .

---

(١) قراءة تربوية ، د. على خليل مصطفى ص٣٥٣ – ٣٥٥ بتصرف وانظر لمزيد من الاستفادة (تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية) د. ماجد الكيلاني ص١٠٢ – ١١٣ .

(٢) قراءة تربوية ، د. على خليل مصطفى ص ٣٥٦، ٣٥٧ بتصرف يسير .

ثانياً : تربية الإنسان روحياً لأن بناء الروح الإسلامية في الحياة والإنسان وواقع حياته لا تقل أهمية في الإسلام عن بناء العقيدة وهو مرتبط بالعقيدة ارتباطاً روحياً ، وتنمية الجانب الروحي في الإنسان يتساوى مع تنمية الجانب المادي فيه بحيث يتحقق التوازن بينهما ، وفي نفس الوقت يتشكل بناء الإنسان المتكامل الذي يوازن بين مطالب الروح والجسد ، ومطالب الحياة الدنيا باعتبارها مزرعة للحياة الآخرة .

وبناء الجانب الروحي في الإنسان يتضمن الإيجابية فيه فيتطلع إلي رضا خالقه محققاً بهذه الروح الإسلامية إيجابية قوية مع واقع حياته ، معانقاً واقعه ومحركاً إياه في حركة قوية تحركها وتدفعها قيم عقدية ومثل تشريعية وأخلاقية إسلامية فالعقيدة أساس هذه القوة وروحها فإذا تركزت العقيدة الإسلامية وكانت هي المحركة للروح الإسلامية فإن النفس الإنسانية تتربى على المنبع الإلهي لهذه القيم العقائدية ولذا كانت القيم الأخلاقية والاجتماعية وغيرها من سائر القيم الإسلامية هي نتاج هذه الروح التي تربت عليها النفس الإنسانية ، وتجسيد الإنسان لهذه الروح الإسلامية في واقع ومناحي حياته يدل دلالة قوية على عظمة الدين الإلهي وقدرته الواقعية على معانقة واقع الإنسان والحياة بهذه الروح الإسلامية(١) .

ثالثاً : تربية الإنسان فكرياً وعقائدياً ومعرفياً ، فالتربية الإسلامية كما تجلت في فكر الماوردي تستهدف تنمية ذكاء الإنسان وتنمية قدرته على التأمل والنظر والتدبر والتفكير ووسيلتها دعوة الإنسان للنظر في الكون والنفس الإنسانية ، كما تستهدف تنمية قدرته على التصور والتخيل في المشاهد الكونية والإنسانية ، وتقوية الذاكرة والتذكر بحفظ القرآن الكريم واستيعاب معانيه وتدبره ، وكذا تنمية القدرة على التحليل وإدراك العلاقات بفهم عظات التاريخ وربطها بالواقع الاجتماعي ، وربط العلل بالمعلولات والأسباب بالنتائج كما جاءت في قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وأيضاً تنمية القدرة على التعبير عما تحتوي الخبرات الحياتية وما يكونه عقل الإنسان لها من مفاهيم ومعان ، وهذه التنمية الفكرية تستهدف بناء المفاهيم الإسلامية في الإنسان عن الحياة والكون والإنسان نفسه في صلاته بهما وصلته بخالقه جل شأنه وسائر المخلوقات ،

---

(١) الأهداف التربوية ، د. محمد السيد سلطان ص ٩١ – ٩٣ بتصرف .

فالتفكير في الإسلام فريضة ، والعقل بحواسه أداته والتعليم فريضة والفهم معيار للحكم وفي إطار القيم الإسلامية الأخلاقية والتربوية خاصة التي هي الضمان الوحيد لضبط منطقه وحركته وسلوكه في واقع حياته وكونه (١) .

رابعاً : تربية الإنسان جسدياً وصحياً ، فلم تكن مثالية الإسلام بعيدة الصلة عن واقع الحياة وإنما استوحت هذه المثالية باستمرار أصالتها من الواقع تحسنه وتنميه وتحركه وتأخذ بيده إلى الدرجة العليا في موكب الذين هداهم الله تعالى ، ومن ثم اهتم الماوردي في نتاجه الفكري بما يحقق هذه المثالية التربوية لبناء الإنسان وتربيته عقلياً وروحياً وبدنياً وصحياً في صبغة متكاملة بأسلوب متكامل ومتعاون يهدف لإحداث نمو الإنسان وبنائه نمواً طبيعياً وقويماً ، فللبدن حقه والحقوق لإشباع مطالب البدن متعددة منها حقه في الغذاء والمشروب والراحة وحقه في الإشباع الحيوي ، وقد شرع الإسلام لها ما يحقق إشباعها لتكون ملاذاً لإشباع هذه المطالب البيولوجية في الإنسان إلى القوة البدنية إلى جانب قوته العقلية والروحية وغيرها فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ، كما لزم لإنسان القوة المادية عن طريق الرياضة الطبيعية وكذا القوة الروحية وإذا ما تكاملت هذه القوى باتباع ما جاء في الشرع الإسلامي لتحقيقها نمت شخصية الإنسان وقويت فلا تبطش بها قوى الغدر والعدوان وجيوش الشيطان (٢) .

خامساً : تربية النفس وتهذيبها خلقاً فالتربية كما يرى الماوردي تكفي النفس مساوئها وينجو الإنسان من غيه ، وهذه التربية تعني عناية كاملة بكافة المراحل التي يمر بها الإنسان في أطوار حياته كلها (في بطن أمه جنيناً ، وطفلاً ، وشاباً ومراهقاً وشيخاً وكهلاً) ، ويرسم الماوردي الدعائم التي ترتكز عليها هذه الرعاية المتكاملة للإنسان وما يلزمه من أصول ودعائم أخلاقية وقد فصلناه سلفاً ويرجع الماوردي عناية الإنسان بالنفس وتربيتها وتأديبها ومحاسبتها وجعلها أحد أهدافه إلى أن الإنسان إذا عرف نفسه عرف خالقه جل شأنه ، وإذا عرف نفسه عرف منها ما يراعيه لصلاحها واستقامتها ويحفظها من زيغ شهواتها وأهوائها ليتم لها صلاحها وتستديم لها السعادة وفق ما جاء في كلمة الوحي

---

(١) المرجع السابق ٨٩ ، ٩٠ بتصرف .

(٢) المرجع السابق من ١٠١ – ١٠٢ بتصرف .

الإلهي ، وهدف تربية النفس أن تكون نفسه مطيعة له لأنها إذا أطاعته ملكها وإذا عصيته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه لا يملك نفس غيره ، ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها أولى وتربية النفس تأتي عن طريق النصح والانقياد فهو بالنصح يرى الرشد ويستحسنه ويرى الغي غياً ويستقبحه فهو أسرع إلى الرشد إذا أمرها وتنتهي عن الغي إذا زجرها وهذا يكون من قبول النفس إذا كفيت منازعة الشهوات والأهواء .

وقد أورد الماوردي أدباً ومكارم للأخلاق هي تمام طاعة النفس وكمال صلاحها وسعادتها في الدنيا والآخرة .

سادساً : تربية الإنسان اجتماعياً ، فالأهداف التربوية في العملية التربوية بما لها من صلة قوية بالعقيدة والفكر وبسائر القيم الأخلاقية والتربوية وبالسمو والبناء الروحي للإنسان فهذه كلها نسيج متشابك ومتداخل وهو يمثل نسيجاً اجتماعياً يتشكل المجتمع المثالي به وفق ما جاء في تحقيق هذه الأهداف جميعها في البناء الاجتماعي الذي رسم معالمه وملامحه وقعد أصوله ودعائمه الإسلام ، فقد شرع الإسلام لكافة الأنظمة الحياتية لواقع الإنسان بما يحقق صلاحه وسعادته فشرع دعائم للبناء الفردي والأسري والاجتماعي والدولي وسائر العلاقات الإنسانية ، وكذا شرع أنظمة لمناحي الحياة الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والقضائية وغيرها بما يكفل سعادة للفرد والمجتمع بل للإنسانية كافة ، وقد جسد الماوردي هذه التشريعات الإلهية في البناء الفكري العام بما يحقق نفعه وصلاحه في الدنيا والآخرة (١) .

سابعاً : تربية الإنسان علمياً وعملياً ، فقيمة العلم مرتبط في الإسلام بقيمة العمل كما أنها مرتبطة بمفهوم الخلافة وعمارة الدنيا ، ومن ثم فإن العلم قيمة كبرى في حياة الإنسان والمجتمعات ، والتربية الإسلامية تعمل على تنمية هذه القيمة وتصوغ منها أهدافاً للأعمال المختلفة في الحياة ولن تبني شخصية الإنسان على أساسها وبقدر ما يؤدي الإنسان من عمل بقدر ما تكون قيمته في بناء الحياة وعمارة الأرض ، وهذا ما جعل لقيمة العلم هو القالب الذي يتشكل وفقه مضمون التربية ومحتواها وجوهرها وبغيره تفقد الحياة مضمونها ومحتواها وجوهرها ، والعلم وسيلة من وسائل عمارة الدنيا وغاياتها وقد شغل الماوردي بهذه القيمة

---

(١) انظر من هذه الدراسة التربية الاجتماعية في فكر الماوردي .

وجلى طبيعة المعرفة وإمكانياتها ومصادرها وطرقها ووسائلها ، كما وضح أهمية العلم والعلماء ، وجلى تقسيمات العلوم والمناهج ، كما بين العوامل المؤثرة في التعلم والتعليم ، كما جلى شروط وآداب عامة تتصل بالمتعلم تجاه المعلم ، وكذا شروط وآداب تتعلق بالسمات الواجب توافرها في المتعلم ، كما بين السمات الواجب توافرها في المعلم الجيد ، واستمرارية التعلم (١) .

ثامناً : ومن أهداف التربية لدى الماوردي من خلال نتاجه الفكري العام ولاسيما فكره التربوي هو : صلاح أمر الإنسان في الدنيا والآخرة أو ما يعبر عنه نفعي الدنيا والآخرة ، وصلاح أمر الإنسان في الدنيا يعني : استقامة أحواله فيها لتستقيم أمور الآخرة ، وأهمية هذا الهدف تأتي لإقامته التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة ، والدين والدنيا ، والمادة والروح ، والعقل والوحي الإلهي .

كما بين الماوردي في كتاب أدب الدنيا والدين لكيفية إصلاح أمر الإنسان في الدنيا وما ينبغي الالتزام به من أجل صلاحه وسعادته وهذا يتأتى بتحقيق :

أ - تربية الإنسان فردياً للأخذ بنصيب من الدنيا .
ب - تربية الإنسان اجتماعياً للعيش مع غيره في سلام .

وكلاهما متكاملان ، وفي هذا السبيل يرى أن تربية الإنسان اجتماعياً يعتبر هدفاً من أهم الأهداف لتحقيق صلاح الدنيا والآخرة وهذه التربية تتم بالتربية الدينية حتى يصير الدين قاهراً للسرائر وزاجراً للضمائر ورقيباً على النفوس نصوحاً لها وهذا الهدف هو أقوى قاعدة في صلاح أمور المجتمع ، والتربية السياسية في تحسين أحوال المجتمع وذلك بالطاعة والتربية التي تعتمد على العدل الذي هو الأساس في الممارسة الاجتماعية وبضم التربية إلى الشورى ومبدأ تكافؤ الفرص ، وكذا الاهتمام بالتربية المهنية والكسبية أي تدريب الإنسان على مهنة يتكسب منها وتسهم في إحداث الخصب العام في المجتمع ، وهو سبب في استقرار المجتمع واتساع النفوس في الأحوال وقلة الحسد والتباغض وتربية الإنسان على الألفة والمعاش مع الغير وغاية الأمر في هذا المجال أن الماوردي كان يهدف إقامة توازن دقيق في الفكر والمجتمع والإنسان وطريقه إلى ذلك هو تحقيق وبناء وتنمية الشخصية المتكاملة التي لا تهمل الدنيا لحساب الآخرة أو تهمل الآخرة لحساب الدنيا ولا تهمل النفس ولا المجتمع .

---

(١) انظر لمزيد من الاستفادة التربية الإسلامية العلمية في فكر الماوردي من هذه الدراسة وكتاب أدب الدنيا والدين للماوردي ص٤١ – ٩٣ .

الخاتمة

بعد هذه الجولة يمكن استخلاص النتائج التالية :

أولاً : أن مبحث القيم إن كان يمثل الركن الثالث والأخير لدى أصحاب الفلسفات النظرية التقليدية إلا أنه لدى الإسلاميين يحتل المكانة الأولى في أبحاثهم لذا أولوه عناية خاصة ، فالأمر الذي لا قيمة له لا جدوى من البحث فيه والأمر الذي له قيمته ومكانته لابد من بيان أصوله ومعالمه ، وهذا ما فعله علماء الإسلام ومفكروه .

ثانياً : أن مصطلح التربية وإن بدا أنه حديث النشأة إلا أنه ليس كذلك فقد عالج علماء الإسلام ومفكروه مسائل التربية عن طريق بيان مفهومها وأهدافها وميادينها ووسائلها .... الخ ، تحت مسميات أخرى كالأدب والرياضة والتزكية والسياسة ... الخ ، والتي هي في حقيقتها تربية كما دلت عليها المفاهيم اللغوية ومعانيها الاصطلاحية .

ثالثاً : أن طريقة معالجة التربويين المحدثين ولاسيما الغربيين منهم لمسائل التربية هي بعينها طريقة علماء الإسلام ومفكروه وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تأثر اللاحق بالسابق وخاصة إذا علمنا أن تراث علماء الإسلام قد تم نقله إلى الغرب وكان هو السبب الرئيسي في إحداث نهضتهم المادية .

رابعاً : أن الإمام الماوردي في معالجته لمسائل التربية لم يقتصر على بيان المعالم النظرية شأن الفلاسفة ، لكنه بين معالم التطبيق وكيفية المعالجة للأمراض الاجتماعية والتي تفشت في عصره الأمر الذي تطلب منه أن يتفاعل مع الأحداث وأن ينفعل بها وأن يؤثر فيها بنظرته السديدة.

خامساً : أن الإمام الماوردي لم يقتصر على ميدان واحد من ميادين التربية شأن أصحاب النظرة الجزئية وإنما عالج جميع الميادين ، الفرد بجميع جوانبه الظاهرية والباطنية والمجتمع بجميع ما فيه من راع ورعية وعادات وتقاليد وشيم وأخلاق .

سادساً : جاءت نظرة الماوردي للعلم نظرة متكاملة متوازنة تسعى إلى تنمية الإنسان وتربيته داخلياً وخارجياً فالعلم هو الذي يؤدي إلى اليقين

والاستقرار النفسي أي أنه يعني إشباع الملكات العقلية والنفسية والوجدانية وفتح الطريق أمامها بما ينميها ويصقل مواهبها فتفتح المجال أمام العقل للتأمل والتدبر والاكتشاف .

سابعاً : جاءت معالجة الإمام الماوردي للعوامل المؤثرة في التربية معالجة تربوي بارع حيث إنه أرجع العوامل إلى نوعين عوامل فطرية وعوامل مكتسبة وهو بذلك يرقى إلى مكانة عالية كما أنه يبين أن لكل إنسان ملكاته الخاصة وأن وسائل العلاج يجب أن تختلف من شخص لآخر وإن كان الجميع يتفق في الإنسانية إلا أن ظروف كل واحد تختلف عن ظروف الآخر .

ثامناً : أن الماوردي يبرز الوظيفة التربوية للدولة الإسلامية والتي تتأكد في حفظ عقيدة الأمة والدفاع عنها ضد المعتدين وردع الخارجين على نظام المجتمع وتحقيق العدل والأمان ونشرهما بين المواطنين وذلك عن طريق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي هو من اختصاص العلماء باعتبارهم وكلاء عن الأمة في تنمية أبنائها والمحافظة عليهم ومعاملتهم كأبنائهم ذلك الأمر الذي يستوجب من العلماء تحمل عبء هذه المسئولية الهامة كوسطاء بن الأجيال وناقلين لثقافة الأمة وأمناء عليها .

واخيراً : أقول أن أبحاث علماء الإسلام في التربية مبثوثة في بطون كتبهم متناثرة في جل مسائل بحثهم كل فيما يخصه وهي أغنى وأشمل وأعم وأكمل من نظرات التربويين المحدثين فلقد تناولها الفقهاء والمحدثون والمفسرون وعلماء الكلام وقبل ذلك وبعده الصوفية وعلماء الأخلاق الإسلاميين . لذا فإني أهيب بالتربويين الإسلاميين أن يولوا وجوههم نحو تراثهم المجيد ليستقوا منه معالمه التربوية بدلاً من أن يكفوا على نظريات متناقضة وأقوال متضاربة وأفكار مبتورة .

والله ولي التوفيق .....

الباحث

دكتور

راشد محمد راشد